غزة تدحر العدوان وتنتصر في معركة الصمود

بقلم:
د. إسماعيل محمد المدني

انتصرتْ غزة بعد أن صمدت، وصبرت، وصابرت أكثر من ١٥ شهرا ليس أمام جيش الكيان الصهيوني فحسب الذي يُعد من أقوى جيوش منطقة الشرق الأوسط، وإنما أمام قوات بعض الدول الغربية التي دعمت هذا الكيان الهش الضعيف منذ الساعة الأولى عسكرياً بالسلاح والذخيرة والجنود على الأرض، إضافة إلى المدد المعلوماتي والاستخباراتي على الأرض وفي أعالي السماء، والمساعدة المالية اللامحدودة، والدعم الإعلامي والسياسي والدبلوماسي.

وانتصرت غزة عندما فشل الكيان الصهيوني في تحقيق جميع أهداف حرب الإبادة المعلنة. فقد فشل في تحرير الأسرى بقوة السلاح، فالمقاومة احتفظت بالأسرى تحت الضغوط العسكرية المدمرة، والضغوط السياسية والدبلوماسية العنيفة، وتحت التهديد والوعيد من الحكومات ومنظمات الأمم المتحدة، كما فشل في استئصال المقاومة بكل فصائلها والتخلص منها كلياً، وفي مقدمتها حركتا حماس والجهاد الإسلامي.

وانتصرت غزة عندما أرهبتْ الشعب الصهيوني ولأول مرة في داخل الأرض المحتلة، وألقت في قلوبهم الرعب والفزع والألم الشديد، فجعلتهم يهربون من القرى والمدن والمستوطنات ومنازلهم المغتصبة إلى خارج الكيان الصهيوني بحثاً عن الأمن والأمان والسلام، بل وهرب الكثير منهم خارج البلاد.

وانتصرت غزة عندما أعلن زعماء وقادة الكيان الصهيوني والدول الغربية بأنها حرب وجودية مصيرية بالنسبة إلى هذا الكيان، مما اضطر قادة الغرب إلى الجري سريعاً خائفين ومذعورين لزيارة للكيان الصهيوني واحداً تلو الآخر لطمأنته ومواساته على ضمان وجوده ومصيره في المنطقة، وتعهدهم بدعمه بالسلاح والزاد والعتاد، والمال، إضافة إلى الدعم العسكري والإعلامي.

وانتصرت غزة عندما قتلت وجرحت وأسرت من الصهاينة في أيام قليلة أكثر مما قتلت كل الجيوش العربية في حروبها التي خاضتها ضد الكيان الصهيوني، ودمرت من المعدات الثقيلة والخفيفة ما لا يمكن حصره وعده. وكل هذا الانتصار كان بأسلحة تقليدية بسيطة محلية الصنع، وبمعدات قديمة غير متطورة. ولكن واجهت هذا العدو الهمجي برجال أشداء أقوياء صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ووقفوا وقوف الجبال الشامخات التي لا تهتز ولا تتزحزح أمام جبروت الصهاينة وإلغرب وقوتهم العسكرية المتفوقة عدداً وعُدة.

وانتصرت غزة عندما أطلقت الآلاف من السجناء الفلسطينيين القابعين عشرات السنين في سجون الاحتلال، المليونية عمَّت دول الكرة الأرضية برمتها دفاعاً عن غزة وضد الكيان الصهيوني وسياسة الفصل العنصري والإبادة الجماعية للبشر والشجر والحجر. وبعض هذه المظاهرات كانت في دول حكوماتها، ومازالت منحازة للظالم الصهيوني وسياساته المجرمة المعتدية، فغزة انتصرت عندما كسبت الرأي العام العالمي وتعاطف الشعوب، والتضامن القوي من رجال الفكر والسياسة والإعلام، ورجال الفن والرياضة، ومن أصحاب الضمائر الحية.

وانتصرت غزة عندما تبنى مجلس حقوق الإنسان في الخامس من أبريل ٢٠٢٤ وبأغلبية ٢٨ صوتاً من أصل ٤٧، قراراً يدعو إلى محاسبة إسرائيل على جرائم حرب مُحتملة ارتكبتها خلال عدوانها على قطاع غزة، إضافة إلى الدعوة إلى وقف أي مبيعات للأسلحة.

وانتصرت غزة عندما وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ١٠ مايو ٢٠٢٤ وبالأغلبية الساحقة وهي ١٤٣ دولة، على إعطاء دولة فلسطين العضوية الكاملة في الأمم المتحدة. كما انتصرت غزة عندما نشر تقرير ممثل الأمين العام للأمم المتحدة الخاص بالأطفال والنزاعات المسلحة في ٧ يونيو ٢٠٢٤، حيث أدخل الكيان الصهيوني ضمن قائمة المجرمين والدول والمنظمات التي ارتكبت جرائم ضد الأطفال، فقتل أكثر من ١٥ ألف طفل في غزة.

وانتصرت غزة عندما وافق مجلس الأمن في ١٠ يونيو ٢٠٢٤ على قرار لوقف إطلاق النار، وهذا في تقديري قرار تاريخي لأنه يصب نسبياً في مصلحة الشعب الفلسطيني ومقاومته دون استخدام أمريكا للفيتو، أو حق النقض.

وانتصرت غزة عندما صدر قرار محكمة العدل الدولية في ١٩ يوليو ٢٠٢٤ ضد الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية، ودعت الكيان الصهيوني إلى سرعة إنهاء الاحتلال، وتقديم التعويضات الكاملة للممارسات الخاطئة التي قام بها.

وانتصرت غزة عندما أضرب الشعب الصهيوني عن العمل وخرج في مظاهرات كبيرة في الأسبوع الأول من سبتمبر ٢٠٢٤ ضد نتنياهو وتضحيته بالأسرى الصهاينة عند المقاومة من أجل مصالحه الشخصية وبقائه في الحكم.

وانتصرت غزة عندما أصدرت محكمة الجنايات الدولية في ٢١ نوفمبر ٢٠٢٤ مذكرة اعتقال بحق نتنياهو ووزير الدفاع الصهيوني السابق، مما أكد ولأول مرة أن قادة الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني سيحاسبون دولياً كمجرمي حرب وضد الإنسانية، وأن هذا الكيان لم يعد فوق القانون الدولي.

وانتصرت غزة عندما تبنّت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٣ ديسمبر ٢٠٢٤ قراراً يدعو إلى إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية وإقامة دولة فلسطينية مستقلة وعقد مؤتمر دولي في يونيو المقبل للدفع قُدماً باتجاه حل الدولتين.

وانتصرت غزة عندما أعلنتْ منظمة العفو الدولية في تقريرها المنشور في ٤ ديسمبر ٢٠٢٤ أن الكيان الصهيوني يرتكب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، فالعالم يشهد بالصوت والصورة مباشرة هذه الجرائم، ولكن يقف فقط صامتاً ومتفرجاً عليها دون أن يقشعر بدنه على ما يراه، ودون أن يرفع صوته وبندقيته. فهذا القرار من منظمة أممية حقوقية مرموقة يمحي ويزيل إلى الأبد الوهم بأن الجيش الصهيوني حمل وديع لا يعتدي على أحد، ومن أكثر جيوش العالم خُلقاً وانضباطاً، في حين أن الحقائق عرَّته وبينت أنه جيش همجي وعدواني ووحشي متعطش لإراقة دماء الأطفال والنساء والشيوخ.

وانتصرت غزة عندما كشفت حال العجز والفرقة في الأمتين العربية والإسلامية، وكشفت قلة حيلتهم، وضعفهم، وتفرقهم، وهوانهم أمام الدول الأخرى، بل أزالت الغمامة عن بعض العرب من المفكرين والكتاب والإعلاميين وغيرهم الذين كانوا يتخفون تحت أسماء وشعارات براقة وتحررية وليبرالية، فكشفت عن صهيونيتهم، وتقاربهم الروحي والجسدي والعقلي مع الكيان الصهيوني. كما أظهرت في الوقت نفسه عن الوجه الحقيقي لجميع المجالس والمنظمات والوكالات الأممية، فأكدت للجميع أنها أدوات صورية ولا نفوذ حقيقي لها، وتخدم فقط مصالح الدول المتقدمة الكبرى ذات النفوذ الدولي القوي، وأنها وسائل ضغط تستخدم عند الحاجة ضد الدول الفقيرة والمستضعفة فقط.

فكل هذه الأحداث الجديدة التي نزلت على الكيان الصهيوني منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، حولت هذا الكيان المغتصب من دولة تفتخر بنفسها وتتكبر وتتعالى على المجتمع الدولي وتستهتر بالقوانين والمواثيق الدولية إلى دولة منبوذة ومعزولة ومعتدية، وحولت قادتها وجنودها إلى مجرمين مدانين ومطاردين ومطلوبين للعدالة حول العالم، فكل هذه المتغيرات والمستجدات التي يعاني منها الكيان الصهيوني، تدعوني إلى تأكيد معجزة انتصار غزة.

ismail.almadany@gmail.com

عالم يتغير

اليوم التالي: كشف حساب سريع!

فوزية رشيد

○ مشهد اليوم الأول لتنفيذ الاتفاق بين حماس والكيان الصهيوني، كان مشهداً فيه الكثير من المفارقات، سواء من خلال توجه أهل غزة إلى مدنهم المدمرة وبخطاب (العودة إلى بيوتنا) ولا أحد يعرف كيف ستكون تلك العودة والركام والأنقاض يملآن كل مكان! أو من خلال تلك الفرحة العارمة التي غطت وجوه الأطفال والنساء والأهالي جميعاً بوقف النار، وهم لا يفكرون فيما بعد ذلك، فالأمر بالنسبة لهم أن الهدنة بدأت وتوكلهم على الله هو ما يملأ قلوبهم لما سيحدث لاحقاً.

المشهد مختلط وعناصر من حماس محاطة بالمئات إن لم يكن الآلاف يوم الأحد الماضي، يشرفون على تسليم الرهائن الثلاث، مقابل الإفراج مساء عن فلسطينيين أسرى أو مختطفين أو معتقلين يبلغ عددهم أقل من المائة في اليوم الأول، وأصرت قيادات الكيان على عدم تصوير الرهائن الثلاث عند الاستلام، وكان خوف الصورة يلاحقها منذ اتفاق تبادل الأسرى الأول بعد فترة من حربها على غزة، خاصة أن الكيان لم يحقق أهدافه المعلنة!

○ كل ذلك لا يهم كثيراً في المعطى الاستراتيجي، بقدر أهميته الآتية، لأن التفكير في اليوم التالي وبما يخص (وقف الحرب نهائيا) هو الأهم، والأهم منه هو كيفية التعاطي مع حل القضية الفلسطينية ونشر السلام والاستقرار في فلسطين والمنطقة العربية، وهو ما يقلق الجميع خاصة في ظل تصريحات الكيان الصهيوني باستمرار الحرب بعد الاتفاق، وحيث بإمكان الكيان أن يختلق أي ذريعة لذلك الاستمرار، خاصة مع فشله في القضاء على «حماس» وفي التطهير العرقي بشكل كامل، وتهجير أهالي غزة بل والضفة كما كان يطمح إلى جعل فلسطين بشكل كامل خاضعة لليهود واعتبارها دولة يهودية تسعى بعدها لتحقيق مشروعها التوسعي!

○ في كشف حساب سريع، فإن الجانبين الفلسطيني وصهاينة الكيان بحاجة إلى وقفة نقدية جادة للذات! فالجانب الفلسطيني وبعد ما أحدثته حرب الإبادة والمعاناة غير المتخيلة للشعب الفلسطيني في غرة، آن الأوان لقادتها ومثقفيها وسياسييها أن يدركوا أن (وحدة الصفوف الفلسطينية) لم يعد ترفاً كما يعتقد بعضهم، بل هو ضرورة ملحة، خاصة في مواجهة كيان صهيوني محتل يريد إنهاء القضية الفلسطينية، والقضاء على الفلسطينيين داخل فلسطين، سواء كانوا من المقاومة -وحماس مجرد فصيل واحد فيها- أو كانوا من السلطة في الضفة! الكيان لا يريد أي مقاومة من أي توجه كان، مثلما لا يريد سلطة فلسطينية حقيقية لأنه بالأساس لا يريد قيام دولة فلسطينية! ولا يريد إعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، بل يريد القضاء الكامل على القضية والواقفين خلفها!

ولذلك فإن شرط التوحد الفلسطيني هو شرط بقاء ووجود!

○ ومن جانب آخر فإن أي مقاومة فلسطينية وطنية تعمل على تحرير الأرض ومواجهة الكيان المحتل، مطالبة في ذات الوقت بأن تكون أجندتها وطنية خالصة، من دون الوقوع في شرك مقاومة المحتل الصهيوني، بدعم دولة ذات أجندة هي الأخرى باستغلال القضية الفلسطينية والمتاجرة بها، ودعم مقاومتها لمصالحها الخاصة ونفوذها على المستوى الإقليمي!

ومعروف عن ماذا وعمن نتحدث هنا! وعليه، فإن كل القيادات والفصائل الفلسطينية أكثر ما تكون اليوم بحاجة إليه هو «رؤية فلسطينية استراتيجية» جديدة تحت عنوان «منظمة التحرير الفلسطينية» التي يعترف بها الجميع كممثل شرعي للقضية الفلسطينية، وما على الفصائل إلا أن تتوحد خلفها، وتنتهي من حالة الانقسام الخطير الذي لا يليق بمعاناة الشعب الفلسطيني منذ ١٩٤٨ وهي معاناة كبيرة واستثنائية!

○ أما الجانب الصهيوني المتمثل في الكيان ومتطرفيه والصهيونية الدينية، فإن اليوم التالي الذي تخطط له بنصب المكائد والأفخاخ والعودة إلى حرب الإبادة التي استمرت ١٥ شهراً عليها أن تنظر بواقعية الى خسائرها أيضا وهي كثيرة وأهمها على المستوى الأخلاقي والإنساني والقانوني دولياً، إلى جانب ركام خسائرها المادية في الاقتصاد والعمل والهجرة المضادة للصهاينة لديها، واستنزاف جيشها وانخفاض معنويات جنودها، رغم كل الدعم الغربي المترف الذي حظيت به عسكريا ولوجستيا ومشاركة في حربها الهمجية!

○ على هذا الكيان اللقيط أن يدرك أن المقاومة وكما قال قادة غربيون بأنفسهم هي فكرة لا يمكن القضاء عليها! ونضيف أنه طالما هناك احتلال فهناك مقاومة حتى لو قضى الكيان كما يتصور على «حماس» بشكل نهائي! فالقصة أكبر وأبعد من «حماس» طالما احتلالها مستمر، وطالما تطرفها وإرهابها ضد الشعب الفلسطيني مستمر، وطالما هذا الشعب باق ومتجدد في نضاله من أجل حريته واستعادة أرضه وحقوقه، وقد جرب الكيان خلال ٤٧٠ يوماً على أشكال الإبادة والتطهير والتهجير، وآن له أن يعترف أنه فشل! وأن لا حل له ولا لوجوده حتى المؤقت أو المرحلي، إلا بالرضوخ لمتطلبات السلام وحل القضية الفلسطينية حلاً عادلاً! ومهما صال وجال وتلقى الدعم من أقوى دول العالم وبشكل كامل، فإن التاريخ سجل منذ زمن بعيد، أن إرادة الشعوب هي التي تنتصر في النهاية! وقد جربت الولايات المتحدة ذلك في فيتنام وأكثر من مكان! كما جرب الغرب الاستعماري ذلك في الدول التي استعمروها!

الشعب الفلسطيني صاحب أكثر قضية عادلة في العالم، ومصر على نيل حريته وحقوقه، مهما مورس ضده من أساليب القمع والوحشية وحتى الإبادة، وهذا ما رآه العالم كله! وعلى هذا الكيان المزروع أن يعترف بذلك!

صورة أمريكا ما بين جيمي كارتر ودونالد ترامب

بقلم:
د. جيمس زغبي ○

شهدت العاصمة الأمريكية واشنطن دي.سي خلال الأيام القليلة الماضية مشهدا مليئا بالتناقضات الصارخة: الكرامة المهيبة التي اشتمل عليها وداع الأمة للرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر في مقابل التصرفات العاصفة التي رافقت عودة الرئيس المنتخب دونالد ترامب إلى البيت الأبيض.

لا يمكن أن يكون هناك رجلان مختلفان عن بعضها أكثر من جيمي كارتر ودونالد ترامب. وكما لو كان ذلك لإثبات هذه النقطة، نشرت إحدى الصحف عناوين رئيسية لافتة تبرز هذه التناقضات على الصفحة الأولى.

فقد جاء العنوان الأول البارز كالآتي في إحدى هذه الجرائد: «الاحتفال بخادم الشعب»، مع عنوان فرعي بارز كالآتي: «عندما وصل كارتر إلى واشنطن، تجمع الكثيرون لتكريم تواضعه ولياقته».

أما على الجانب الآخر المقابل، فقد كان العنوان الرئيسي كالآتي: «ترامب لن يستبعد الإكراه لتوسيع خريطة الولايات المتحدة الأمريكية»، مع عنوان فرعي بارز أيضا «يتطلع إلى السيطرة على قناة بنما وجرينلاند».

في نفس الأسبوع كان الأمريكيون في حالة حداد على وفاة أحد الرؤساء السابقين الذي حظي بالثناء على خدمته للآخرين، وتواضعه، وصدقه، والتزامه بالسلام والديمقراطية وحقوق الإنسان.

وفي نفس الأسبوع كان الأمريكيون ينتظرون أيضا عودة رئيس سابق آخر هدد باستخدام الإكراه «للسيطرة» على الدول الأجنبية والعفو عن مئات الأشخاص المدانين بمحاولة العنف لقلب نتيجة انتخابات ٢٠٢٠.

إن قصة قناة بنما الاستراتيجية تكفي وحدها في هذا الصدد كي تظهر لنا مدى الاختلافات القائمة بين الرجلين -جيمي كارتر ودونالد ترامب- والتناقضات بين نهجيهما في سياسة الحكم.

في خضم الاضطرابات التي كانت تشهدها أمريكا اللاتينية، وتزايد استياء العديد من البنميين إزاء سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على منطقة القناة، الأمر الذي لم يقسم بلادهم إلى نصفين فحسب، بل أثر سلبا أيضا على مجتمعهم بطرق أخرى، أدرك كارتر أن الوقت قد حان للتفاوض على صفقة تحترم سيادة دولة بنما.

أما من الناحية الأخرى، فإن دونالد ترامب يريد التراجع عن تلك المعاهدة، مؤكداً أن القناة «ملكنا»، ومدعياً أننا «فقدنا آلاف الأرواح» أثناء بنائها. والواقع أن التقديرات تشير إلى أنه في حين لقي أكثر من ٢٥ ألف بنمي حتفهم أثناء حفر القناة، فإن عدد الأمريكيين الذين لقوا حتفهم كان قليلاً للغاية.

فيما يلي بعض التناقضات الإضافية بين الرجلين، جيمي كارتر ودونالد ترامب: أحدهما كان متواضعا، والآخر متفاخرًا دائمًا؛ أحدهما كرس حياته للآخرين، والآخر نرجسي؛ قال أحدهما «لن أكذب عليك أبدًا» (ولم يتمكن مدققو الحقائق من تحديد كذبة واحدة صدرت عن كارتر)، في حين حدد مدققو الحقائق ٣٣٠٠٠ كذبة قالها الآخر، أي ترامب، في أربع سنوات فقط؛ كان جيمي كارتر يعزو نجاحاته إلى الآخرين، فيما ظل ترامب يزعم بكل فخر أنه هو من يحقق كل شيء؛ ولد كارتر في بلدة جنوبية صغيرة وبعد توليه منصبه عاد إلى تلك الحياة البسيطة حتى أيامه الأخيرة، فيما ولد ترامب في عائلة ثرية في مدينة نيويورك وأحاط نفسه بحياة البذخ والإفراط والتباهي.

في حين أنه يجب ملاحظة كل هذه الاختلافات والتناقضات بين الرجلين؛ جيمي كارتر ودونالد ترامب، إلا أن هناك بعض الخصائص والسمات المشتركة التي تجمع بينهما.

إن السبب الأول والأهم هو أن كل منهما قد انتُخب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية باعتبارهما من عوامل التغيير، لأنهما، في عصرهما، فهما واستجابا لحاجة متصورة في مزاج الجمهور الانتخابي الأمريكي.

لقد انتُخب جيمي كارتر في الوقت الذي كانت فيه الأمة الأمريكية لا تزال تعاني من الصدمات المزدوجة التي خلفتها حرب فيتنام واستقالة الرئيس ريتشارد نيكسون. وقد استغل جيمي كارتر أسلوبه الريفي البسيط ليثبت نفسه على النقيض من السياسي التقليدي. لقد كان مرتاحاً ومستقراً، وهذا ما كان الناخبون يتوقون إليه في ذلك الوقت.

من جانبه، أدرك دونالد ترامب أن العديد من الناخبين الأمريكيين كانوا مضطربين بسبب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وكانوا يعانون من الصدمات، سواء تلك الناجمة عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ أو الحرب الكارثية الفاشلة في العراق، أو تداعيات الانهيار الاقتصادي في الفترة ما بين عامي ٢٠٠٨ و٢٠٠٩.

كان الناخبون الأمريكيون أيضا حذرين من السياسيين النمطيين الذين إما لم يفهموا أو لم يهتموا بمدى غضبهم وانزعاجهم. وقد وعد جيمي كارتر بالصدق وإنهاء الاضطرابات، فيما وعد دونالد ترامب بتحريك الأمور مهما كان الثمن.

هناك عامل آخر يجمع بين هذين الرئيسين السابقين: فرغم الاختلافات الواضحة بينهما، فإنهما يعكسان جانبين مختلفين من الواقع الأمريكي. فالولايات المتحدة الأمريكية أمة قادرة على القيام بأشياء عظيمة وجيدة، مثلما أنها أيضاً أمة أثبتت قدرتها على ارتكاب الشرور.

لقد رحبت الولايات المتحدة الأمريكية بملايين اللاجئين، وقدمت الدعم الإنساني لأولئك الذين يعانون في أعقاب الأحداث الكارثية، وقادت الجهود الرامية إلى دعم وترسيخ مبادئ وقيم المساواة وحقوق الإنسان.

ولكن في الوقت نفسه، ولدت الأمة الأمريكية بخطيئة العبودية الأصلية، ولا تزال تكافح العنصرية، ولا تزال لديها نزعة كراهية الأجانب التي تظهر من وقت لآخر، كما ارتكبت أو ساعدت أو حرضت على ارتكاب جرائم حرب في بلدان بعيدة مثل فيتنام والعراق وكوبا وفلسطين.

لا يستطيع الأمريكيون أن ينكروا أيًا من هذين الجانبين من تاريخ أمتهم و«شخصيتها»، لأن كلا الجانبين المذكورين يمثلان في واقع الأمر ما كان عليه الأمريكيون في الماضي وما هم عليه أيضا. والأمر الأكثر أهمية هو أن كلا منهما قادر على أن يكون ما هو عليه اليوم وما قد يصبح عليه في المستقبل.

وإذا سمح الأمريكيون لأنفسهم بنسيان حقيقة مفادها أن الشر يظل دائما كامنا ويطفو على السطح في أي وقت، فإنهم يصبحون عُرضة لإغراءاته. وفي الوقت نفسه، إذا نسي الأمريكيون أنهم يمتلكون القدرة على فعل الخير والأشياء العظيمة، فإنهم بذلك ينكرون قدرتهم على تحسين الأمور ويفقدون الأمل في إمكانية إحداث التغيير.

إن حقيقة أن جنازة جيمي كارتر كانت على بعد أيام قليلة من تنصيب دونالد ترامب قد وضعت الأمريكيين أمام خيار وتحد أيضا. فأي مسار سوف يسلكونه، وأي أمريكا سوف يصبحون؟

○ رئيس المعهد العربي الأمريكي

الإيمان الواعي.. رسالة فيلم «مهراج»

بقلم:
نبيلة رجب

الدين، بمفاهيمه الروحية والأخلاقية، يعد من أهم الركائز التي يستند إليها الإنسان في رحلته الحياتية. فهو مصدر للتوجيه والإلهام، وأساس لبناء القيم التي تؤسس مجتمعات متماسكة إلى جانب دوره في تعزيز السلام الداخلي وتحقيق الانسجام والتوافق الروحي بين الأفراد، لكن ماذا يحدث عندما يُستخدم الدين كوسيلة للسيطرة وتوجيه السلوك لتحقيق مكاسب خاصة؟

هذه القضية المحورية التي يناقشها العمل الدرامي الهندي «Maharaj»، المنتج عام ٢٠٢٤، الذي يعد نافذة على حقبة تاريخية مشحونة بالتحديات الأخلاقية والدينية. يستعرض العمل خطر استغلال النفوذ المغلف بالقداسة، وكيفية الحفاظ على نقاء الإيمان من التلاعب الذي يهدف إلى الهيمنة النفسية على الأفراد.

«Maharaj» هو عمل درامي تاريخي مستوحى من قصة حقيقية حول دعوى قضائية شهيرة حدثت في الهند عام ١٨٦٢، خلال فترة الاستعمار البريطاني. يروي قصة الصحفي كارسانداس مولجي، الذي تحدى زعيماً روحياً نافذاً يدعى جادوناث مهراج. كان المهراج يتمتع بسلطة استثنائية في بومباي، حيث أحاط نفسه بهالة من القداسة جعلت أتباعه ينظرون إليه كوسيط بين الإله والبشر. استغل هذه الصورة لتعزيز سلطته عبر فرض ممارسات وطقوس ادعى ارتباطها بالدين، ما منحه سيطرة مطلقة على أتباعه.

في ظل هذه الهيمنة، برز الصحفي مولجي كصوت شجاع، متحديا هذا النفوذ المطلق. اختار مواجهة المهراج رغم الضغوط الاجتماعية والدينية التي شكلت تهديداً مباشراً عليه، لكشف الحقيقة وإنقاذ الأبرياء من ممارسات تم تغليفها برداء الدين، لكنها في جوهرها لم تكن سوى استغلال للعواطف والمعتقدات.

الحادثة التي استوحي منها هذا العمل لم تكن مجرد واقعة عابرة، بل أثارت جدلا واسعا في المجتمع الهندي آنذاك. إذ شهدت تلك الفترة تغيرات اجتماعية وسياسية مع تصاعد وعي الطبقات الوسطى بأهمية مواجهة الفساد، ما جعل القضية نقطة انطلاق لمطالبات أوسع بالشفافية والمساءلة. هذه الأحداث أسهمت في تسليط الضوء على أهمية دور المنصات الإعلامية في إماطة اللثام عن هذه السلوكيات، الأمر الذي جعل أثرها يمتد إلى ما وراء حدودها الزمانية.

العمل لا يقتصر على تقديم وقائع تاريخية، بل يوجه رسالة واضحة حول أهمية التمييز بين الإيمان الواعي والإيمان القائم على التبعية المطلقة. من خلال أحداثه، يوضح كيف يمكن للإيمان الأعمى أن يتحول إلى أداة لاستغلال النفوذ، بينما يدعو الإيمان الواعي إلى التفكير المتبصر والتمسك بالقيم الإنسانية. وكما قال المفكر الإسلامي الشيخ محمد عبده: «الدين لا يقبل الإيمان بالتقليد، بل يطالب بإعمال العقل لتأكيده»، مما يرسخ الرسالة التي أرادت القصة إيصالها حول التمييز بين الالتزام الديني الأصيل والممارسات التي تستغل الدين.

إضافة إلى ذلك، يلقي الفيلم الضوء على دور الصحافة النقية الحرة كأداة أساسية لكشف الحقائق وتعزيز الوعي في المجتمع. كما يوضح كيف تمكن الصحفي مولجي من استخدام منصته لمواجهة التضليل الذي مارسته السلطة الدينية تحت ستار القداسة. ويبرز أهمية الإعلام المستقل في تعزيز الشفافية وتسليط الضوء على القضايا المسكوت عنها، مع التأكيد على أن دور الصحافة ليس مواجهة السلطة الدينية، بل ضمان حماية للمجتمع من التضليل بجميع أشكاله.

التعليم والتوعية يشكلان حجر الزاوية لبناء مجتمعات متماسكة وواعية، تسير بخطى ثابتة نحو مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية. القراءة والمطالعة تسهم بشكل كبير في تعزيز وعي الأفراد، حيث تفتح آفاقا جديدة للفهم وتساعد في ترسيخ قيم التحليل والبحث عن الحقيقة، الأمر الذي يسهم في تنمية التفكير المستقل من دون المساس بثوابت وقيم المجتمع.

إلى جانب ذلك، يمكن للتوعية المجتمعية أن تضيف بعداً عمليا من خلال تنظيم ورش عمل وندوات تسلط الضوء على أهمية التفكير الواعي وطرق التمييز بين الحقائق والمغالطات. ان الإعلام والثقافة لهما دور أساسي في تقديم محتوى هادف يدعو إلى النقاش البناء ويعزز القيم الإنسانية. عندما تتكامل جهود التعليم، المطالعة، والتوعية، يمكن للمجتمعات أن تتطور بثبات، مع الحفاظ على انسجامها مع قيمها الروحية والثقافية.

على مر التاريخ، لم يكن استغلال الدين لتحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية ظاهرة جديدة. تتكرر هذه الأنماط كلما غابت الشفافية والتفكير المستنير. فيلم «Maharaj» يقدم رسالة مؤثرة تدعو إلى الحفاظ على نقاء الإيمان بعيداً عن استغلاله كوسيلة للسيطرة. الرسالة ليست مواجهة للدين أو رموزه، بل هي دعوة صادقة لتعزيز التفكير الواعي الذي يجعل الإيمان دعامة للعدالة والإنسانية، مؤكدة أن الإيمان الحقيقي يزدهر حين يتم تعزيزه بالتأمل العميق والمنطق الراسخ.

rajabnabeela@gmail.com